

أضواء البيان

@ 7 @ فلا . وقال القرطبي : ويستدل لهذا القول من السنة بما ثبت عن ابن عباس رضي الله

عنهما من وضع الجريد الأخضر على القبر ، وقوله صلى الله عليه وسلم فيه : (لعله يحفف عنهما ما لم يبسا) . أي بسبب تسبيحهما ، فإذا يبسا انقطع تسبيحهما . . .
والصحيح من هذا كله الأول الذي قاله ابن عباس رضي الله عنهما ، وهو الذي يشهد له القرآن الكريم لعدة أمور : .

أولاً : لصريح قوله تعالى : { وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ } . . .

ثانياً : أن الحامل لهم على القول بتسبيح الدلالة ، هو تحكيم الحس والعقل ، حينما لم يشاهدوا ذلك ولم تتصوره العقول ، ولكن الله تعالى نفى تحكيم العقل الحسي هنا ، وخطر على العقل بقوله تعالى : { وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ } . . .

ثالثاً : قوله تعالى في حق نبي الله داود عليه السلام : { وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحُونَ وَالطَّيْرَ } وقوله تعالى : { إِنَّ زَا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحُونَ بِالْعُشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ } ، فلو كان تسبيحها معه تسبيح دلالة كما يقولون ، لما كان لداود عليه السلام خصوصية على غيره . . .

رابعاً : أخبر الله تعالى أن لهذه العوالم كلها إدراكاً تاماً كإدراك الإنسان أو أشد منه ، قال تعالى عن السماوات والأرض والجبال : { إِنَّ زَا عَرْضُنَا الْأُفُقَ مَازِنَةً عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأُفُقِ رُضٌ وَالْجِبَالُ فَأَبْيَنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهُنَّ وَحَمَلْنَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّ زَا كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا } ، فأثبت تعالى لهذه العوالم إدراكاً وإشفاقاً من تحمل الأمانة ، بينما سجل على الإنسان ظلماً وجهالة في تحمله إياها ، ولم يكن هذا العرض مجرد تسخير ، ولا هذا الإباء مجرد سلبية ، بل عن إدراك تام ، كما في قوله تعالى : { ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ } ، فهما طائفتان ، وهما يأتين أن يحملن الأمانة إشفاقاً منها . . .

وفي أواخر هذه السورة الكريمة سورة الحشر ، قوله تعالى : { لَوْ أَنْزَلْنَا هَازِلًا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ } ومثله قوله تعالى : { ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ

